العقد الضائع

أقصوصة مصرية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

رجعنا من السويس على عجل — أختي وزوجها وأنا — وكنا نقضي فيها أياماً فتلقينا نبأ من خادمتنا القديمة الأمينة « فرحة » بأن ابن عمدة قريتنا قادم وسينزل علينا ضيفاً إجابة لدعوة قديمة نسيناها ، فأسرعنا فأقبلنا على الحقائب نحشوها حشواً بلا عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل . ومضى ابن عمي — زوج أختي — فجاء بالسيارة . وكنت قد هممت سائق قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحسن ذلك ولم يتلق فيه إلا بضعة دروس قليلة . وكان الأحجى أن نستأجر رجلا لهذا ولكنا كنا نحرص على ألا يكون معنا غريب يأخذ بوجوده الطريق على حريتنا في الكلام والضحك واللهو . وقد عزيت نفسي بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة فلا داعي للخوف . وفي وسعه أن يخطىء كما يشاء فلن يضيره أو يضيرنا ذلك وإن كان يخشى أن يعطلنا ويضيع وقتنا .

وجلست الى جانبه وجلست أختي على المقعد الخلفي وطمأنتها بأني وأنا معه سأكون السائق الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما آمره . ولكنا لسوء الحظ ألفينا الطريق غاصاً بالسيارات فتعجبنا أولاً ثم تذكرنا أن هذا يوم الأحد فلا عجب إذا كان الكثيرون قد أقبلوا على السويس ليقضوا اليوم فيه .

وقطعنا بضع عشرات من الكيلومترات في سلام وفي ضحك أيضاً ، ثم بلغنا أول مرتقى في طريقنا فأشرت على ابن عمي بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني ففعل فوقفت السيارة في منتصف الانحدار . وكنا لا نزال مكاننا حين وقف المحرك للمرة العاشرة . فاقترحت عليه أن يكف عن العمل وأن يضطجع ويشمل سيجاره . ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها القهقرى ثم أبدأ من جديد ؟ »

فقلت له : « كلا ... إني أفضل لسخافتي أن أواجه الموت » .

وقالت أختي : « هل نستطيع أن ندفعها بأيدينا حتى تبلغ ذروة هذا المرتفع ... » .

قلت : « كلا ... إن زنتها لا تقل عن طنين »

وقال ابن عمي : « لن أسألك عن السبب في وقوفها كلما حاولت أن أحملها على السير فاني أعرف جوابك ، ولكني أؤكد لك أني أضع ناقل السرعة في مكانه بأقصى ما يسع إنساناً من الرفق والبطء ... وإذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة قد أصابها تلف » .

قلت : « سيصيبها التلف على التحقيق إذا ظللت تحاول أن تدير المحرك ثم توقفه ... فستنفد

الكهرباء وتحتاج كلما أردت إدارة المحرك أن تنزل وتدير المحرك بالمنفيللا ... وقد ينفعك هذا فيغريك بالتفكير قليلاً » .

فصاح بي : « تظن أني لم أفكر ... أتتوهم أني لا أفكر الآن ... إن رأسي يكاد ينفجر من فرط التفكير ... » .

فضحكت أختي فصاح بها : « نعم اضحكي ... أنظري إلى الجانب المضحك ... ولم لا ... قد يطير عقلي ، ولكن هل يجوز أن يمنعك هذا من الضحك ؟ »

وداس برجله الزر يريد أن يدير المحرك ... ووقفت السيارة مرات أخرى لا أذكر عددها ، فاضطجع وأغمض عينيه وراح يقول : « لا فائدة ... قضي الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى هنا إلى الأبد ... ومن يدري ... ربما كان في الطريق مارد في يده سيف مسلول ... والسيارة تراه وإن كنا نحن لا نبصره ... من العبث أن يقاوم المرء القضاء والقدر ... كلا ... لا تتكلموا فاني أوثر أن أقضي نحبي في سلام وبغير ضجة ... »

وفي هذه اللحظة وقفت إلى جانبنا سيارة ونزل منها رجل لم نكد نبصره حتى أيقنا أنه انجليزي ، وحقق هو ظننا فقال لنا بلغته : « هل أستطيع أن أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبنا فابتسم وهم بكلام ، ولكن ابن عمي قال له : « امض عنا ... اذهب ... وحدك ... إن أمامنا مارد وقد حذر السيارة من المضي ، ففهمت عنه ... كان صريحاً جداً فيما قاله لها ... إذهب وأرجو لك السلامة »

فابتسم الرجل ودعاه الى النزول واتخذ مكانه وصعد بنا الى رأس التل ، ولم يكتف بذلك بل ظل معنا — على مسافة منا ... وراءنا — حتى فرغنا من المرتفعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطا فشكرناه ؛ ولكن أي شكر يمكن أن يفي بحسن صنيعه ومروءته .

* * *

وجاء الصيف ، وكان مساء ، ثم كان صباح .

ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس قد علت لما دخلت علي «فرحة» توقظني قبل موعدي المألوف بساعتين وتخبرني أن أختي تصيح علي وتدعوني إليها في غرفتها . وقد عجبت وحق لي أن أعجب فما أعرف موجباً لأزعاجي في مثل هذه الساعة المبكرة — السابعة من فضلك — ومع أختي زوجها ثما حاجتها الي ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة ولكن «فرحة» أبت أن تمضي عني وتدعني أستأنف النوم فتمطيت وفركت عيني وتثاءبت وقلت لها : « ماذا هناك يا فرحة ؟ ... »

فقالت بلهجتها الحادة المطمئنة وصوتها المتزن النبرات الذي لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة واحدة في عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة :

« أظن أن الأمر يستدعي وجودك » .

وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ، وقد رباها أبي مع أختي وعني بتعليمها أيضاً وجعل لها حصة في الوقف الذي وقفه قبيل وفاته ، وكانت هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحببنا فرحة حب الأخت وكانت هي وما زالت — ربة البيت . ولسنا نعاملها معاملة الخدم وإنما نعدها واحدة منا : لها علينا مثل الذي لنا عليها . وحسبك منها أنها ما أخذت في حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها بعد وفاة أبينا لم تحاسبنا قط على ريع حصتها وإن كنا نودعه البنك باسمها ، فاذا أرادت ثوباً أو خاتماً أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن تطلبه أختي مني أو من زوجها . فاذا كانت تقول الآن إن

الأمر يستدعى وجودى فقد صار القيام لابد منه .

ودخلت على أختى ووراثى فرحة ، فألفيتها مستلقية على السرير فى منامة قرمزية مزركشة ، وممتدة بكوعها على وسادة وثيرة مربعة محشوة بريش النعام ، وخدها على راحتها ، ويسراها على فخذها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فاتناً فانها جميلة ممشوقة ؛ وكانت هذه الرقدة تبرز خطوط جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت منها إليه وقالت : « لا عجب أن تدللها ... لست بانسان إذا لم تفعل ... »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى . وقالت : « اجلس هنا ... الى جانبى على السرير ... وأنت يا فرحة ... قصى عليهم الحكاية .. » .

فأراحت فرحة أناملها على شباك السرير ، وأشارت بيدها الأخرى الى منضدة صغيرة قريبة وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضعت بيدى عقدها (وأشارت الى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح دخلت عليها فلم أجده . وسألتها عنه فقالت إنه فى مكانه ، فذهبت الى اليك (تعنى زوجها فان فرحة مؤدبة) وسألته فجعل يضحك ويتحسس عنقه ويقول إنه ليس هنا .. هذه هى الحكاية »

فقالت متمما لها كلامها : « فختم بشرلوك هولز ليحل اللغز ويهتدى إلى المسروق ويضع يده على اللص . . أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »

فقالت أختى وهى تضحك : « العفو .. الواقع أن كل ما أذكره هو أنى قمت بالليل وغبت عن الغرفة دقائق ومررت فى عودتى بغرفة هذا الزوج الصالح ، ولكن شخيره كان عالياً فهربت »

فنهض ابن عمى محتجاً وقال وهو يتمشى : « شخيرى . . هل تريدين أن تقولى إنك أفردت لى غرفة من أجل شخيرى . . شخيرى . . ليتك ترين نفسك فى المرآة وأنت نائمة . . إذن لرأيت كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا وبيدك هناك . . كالأطفال بلا أدنى فرق . . لقد تزوجت طفلة حين تزوجتك . . . تقول شخيرى . . مثل هذا الطعن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق يا فرحة ؟ »

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها تقول وشخيره يزعج الجيران حتى لقد جلا السكان عن هذا الحى وخربت بيوت أصحاب العمائر فيه

وقرت نجمة الضحك أخيراً — ولكل شىء آخر — فقالت : « ماذا كان شرلوك هولز خليقاً أن يصنع فى مثل هذه الحالة . . »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك .. الأمر واضح .. البيت موصد من كل ناحية والمنافذ كلها مسدودة فالذى أخذ العقد لم يحى من الخارج وإنما هو ولا شك واحد ممن فى البيت . . »

فضحنا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة — « برافو . . برافو . . »

فلم يعبأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو ابن العمدة فهو السارق »

فلم نطق هذا وضحنا به جميعاً — حتى فرحة وإن كانت مؤدبة —

فلم يتهزم وقال وهو يعود إلى الجلوس على الحشية : « لا بأس .. ولا داعى للصياح .. المسألة بسيطة .. إذا لم يكن هو اللص فمن عسى أن يكون غيره ...؟ »

فقلت : « أنت مثلاً . . لم لا . . »

فقهقه ؛ فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد أخذته لتضعه فى مكان أمين ثم نسيته كعادتك ؟ . إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك . . قم انظر أين وضعت العقد . . واذكر الاسفنجة . .

قبل أن تمرض وتحتج . . قم من فضلك »

وقالت أختي وهي تعتدل في مجلسها : « ياسليم .. إني لم أخطىء حين أزعجتك . . كلا . . وأنا الآن واثقة أن ابن العم قد نسي أين وضعه . . »

فصاح بها محتجاً : « ولكني ياستي لم أدخل غرفتك . . ودعتك — أعني قبلتك ولا مؤاخذه يا سي سليم فان هذه عادة الأزواج — ثم لم أعد .. فكيف يمكن أن أكون قد أخذته ؟ »

فقالت وهي تقف : « تذكر ... حاول أن تتذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة أن تكلف هذا الرأس عملاً ... لا تخف أن تتعب ... »

فمضى عنا إلى الباب وهو يقول : « إني ذاهب إلى الحمام ... »

* * *

وهنا ينبغي أن أقول إن العقد الذي غاب عنا ورثاه عن أمي وهو من اللؤلؤ النفيس ، وكانت حباته نحو مائتين وأكثرها من الكبار في حجم الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدين : واحداً صغيراً أعطيناه لفرحة ، وبقي الآخر لأختي ، فقد كانت إذا لبسته تلفه صفوفاً على نحرها الجميل فآثرت التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد قالت فرحة إنها وضعته على المنضدة وفرحة صادقة ، ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تعابثها كما تعابث ابن عمي — أحمد — ذاكرته . ولم يكن أسخف من قوله — وإن كان يمزح على عادته — إن ابن العمدة — حسن — هو الوحيد الذي تتجه إليه التهمة فان حسناً هذا من سراة الناس وهو فوق ذلك من أقرباء أحمد الأدنين ، وقد ذكرت ذلك لأريك إلى أي حد يذهب أحمد في مزاحه

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكتئبين مهمومين محزونين ؛ فأن للعقد قيمته الذاتية والمعنوية ، وقد كنا نتكلف المرح ونبدي صفحة البشر ونتلاقى الأمر بما يشبه الاستخفاف ، لأننا اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربانا أبوانا على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان بطبيعته هزالاً يركب الحياة بالدعابة والبشاشة والعبث ، وقد أحببناه وأحببناه وآنسنا به وآنسنا به ، فعاش معنا وآثر بيتنا على بيت أبويه وانتهى الأمر بما كان لابد أن ينتهي به — أي أن يتزوج أختي — ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه العيشة السعيدة الرغيدة ، وحسبك أن المال موفور وأن الطباع رضية والأمزجة متطابقة

* * *

ومن عادة أحمد أن يغني وهو في الحمام . ولست أعني أنه يغني الأصوات الشائعة ، وإنما أعني أنه وهو في الحمام يصف كل ما يعمل ويرفع الصوت بالغناء بهذا الوصف ، فاذا كنت على مقربة من الحمام لم يسعك إلا أن تسمعه يقول — أو يغني على الأصح — « أين الاسفنجة ياسيدي ... لابد أن تكون هذه الزوجة المهملة قد ضيعتها ... ومن يدري ياحبيبي ... فلعلها خبأتها عمداً ... آه ياروحي ... وأين الكبريت ... أظنني نسيته ... هذا خازوق ياحبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يالعنة الله انزلي رأس الذي اخترع التدفئة بالغاز ... آه ياعيني ... والله وحسة ... نجد الكبريت فلا نجد القرش الذي نضعه في الثقب لينطلق الغاز ... ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجة ... واجد كل ذلك وأنام في الحوض ويبدأ الشعور بالراحة وإذا بالغاز قد فرغ ... وأخذ الماء يبرد ... ويجب أن أخرج من الحوض لأضع قرشاً آخر في الثقب ...

وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ... معلوم يا سيدى ... أو الكبريت فرغ ... طبيعى أصيح ... ومن يسمع ... ألبس البرنس وأخرج لأجيء بكبريت ... خازوق آخر يا حبيبى ... لقد نسيت الغـــاز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ... وستختنق يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... إفتح يا سيدى وابرد ... وحوح يا حبيبى من البرد ... الذى سمى هذا حماماً كان ولاشك ابن حرام ... »

وهكذا إلى غير نهاية ... ومن تحصيل الحاصل أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كلما دخل فيه أحمد لنعرف ما يجرى له فيه فنقع على الأرض من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شيء لا يحدث لسواه لأنه كما أسلفت سريع النسيان : ينسى أين وضع الأسفنجة ، وأنه رمى الكبريت فى الحوض ، وينسى أنه نسى أن يجيء منه بقروش ليضعها فى الثقب فأنه يبقى فى الحوض ساعة أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما بثناه عامدين لنضحك ولكنه أغنانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا ويجلس معنا فألفانا عند الحمام واقفين وإن كانت المقاعد فى الدهليز فخيا بيده فأشرنا إليه أن اسكت . ورآنا نبتسم وأحس من هيئتنا أننا نتسمع شيئاً على أطراف أصابعه ووقف معنا يصغى أيضاً وكان أحمد يقول :

« قالوا العقد ضاع ... قال ضاع ... كلام فارغ يا حبيبى ... والله ما أخذه إلا هـذا الحرامى الذى نزل فى ضيافتنا ... بالطبع سرقه ... فى عمر أمه ما رأت مثله ... الأقارب عقارب يا سيدى ... ضاع العقد يا ستى ... أنا المسكين يا حبيبتى ... هات لى عقد غيره يا سيدى ... طبعاً يا ماما ... من يدرى ... لعل العقد لم يضع ... أبوه يا سيدى ... لم يضع ... الأرجح ... والمعقول أن يكون فى الدولاب ... أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواه ... النسوان ملاعين يا روحى ... قالوا العقد ضاع ... ضاع فين بالله يا أهل القوطة ... لا يا ستى العقد فى الدولاب ... والغرض مرض ... »

وكان يبدىء ويعيد فى هذه المعانى ؛ فأما حسن فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا نضحك فيتكلف الضحك مثلنا ، وأما أختى فضحكت أولاً ثم لما سمعته يتهمها بأنها خبأت العقد لتطالبه بحلية تجهمت فشددت على ذراعها فنظرت إلى مبتسمة وهزت رأسها وعاد إلى وجهها الاشراق ، ولكنها لم يسعها إلا أن تقول لنا ونحن نمضى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ... ينسى أين وضع العقد ثم يدعى أنى خبأته .. طيب .. »

وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »

فضحكت وقلت : « الحكاية باختصار أن أختى لا تجد عقدها ... وأحمد يتهمك بسرقة العقد .. لقد سمعته بأذنك .. والآن أفهمت ؟ »

وكانت هـذه صدمة فان معرفة حسن بأحمد يسيرة ، وإن كان من أقاربه الأدنين ، ولكنه احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن فعرفناه بأساليب قريبة فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار يطرق من حين الى حين كأنما يحدث نفسه بشيء

وخرج أحمد أخيرا ، ودخل علينا وفى يده صحيفة يتأملها وينظر الى الصور التى فيها فما كانت له عناية بقراءة الصحف ، وجلس الى المائدة وأدار عينه فيما عليها ثم سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »

فاغتنمت أختى هـذه الفرصة وصاحت به : « ألا تنتظر حتى يستعد الباقون للأكل .. ماهذه الشراهة ... ثم كيف تزعم أنى أخفيت العقد لتشترى لى سواه ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

بالنفى ... النفى البات ... أما الشطر الثانى من السؤال فأوان الرد عليه يكون بعد الأكل ، فانه يحتاج الى عقل ، والعقل يذهب به الجوع »

فصاحت به : « ولكن كيف تجرؤ ؟ ... »

فقال بهدوء : « من الغريب أنى جئت هنا لآكل لا لأتكلم . . نعم الأكل أولا يا امرأة »

فقالت : « هل عنيت بالبحث فى ثيابك ؟ . . بالطبع لم تعن . . »

فالتفت الى حسن وقال : « شف يا حسن . . شف . . . احذر يا بنى أن تتزوج . . لا عذر لك وقد رأيت بعينك ما تصنع الزوجات ببعولتهن »

فقال حسن : « أظن أنى سأتزوج . . وعلى فكرة كيف تسمح لنفسك أن تتهمنى بالسرقة ؟ »

فرفع أحمد يديه الى السماء ثم التفت الى حسن وقال : « وأنت أيضاً . . لم يبق لى عبث فى هذا البيت . . فلأرحل »

ونهض وقال : « يا امرأة إنى فى المكتب »

* * *

لم ندع مكانا فى البيت إلا بحثنا فيه ، ولا ثوبا فى خزانة أحمد إلا نفضناه وقلبنا جيوبه — حتى السجاجيد رفعناها ونظرنا تحتها . . حتى الستائر تحيناها وأجلنا عيوننا فيما وراءها وفيها أيضا مخافة أن يكون حبل العقد قد علق بشىء منها . فلم نجد لا عقدا ولا حبة من عقد فينسنا وحل الاكتئاب محل البشر ، فقد كنا الى ما قبل ذلك نعتقد أن العقد موجود فى مكان ما ولكن أعيننا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطيناه بعيوننا ونحن ندبرها كما هى العادة فى حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد يعفينا من مزاحه فى خلال هذا البحث المتعب ، فلما كففنا قال وهو يضطجع ويشعل سيجارته : « لا فائدة . . لقد كنت أعلم من أول الأمر أن لا فائدة . . قلت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد العقد ... نعم هى خبأته »

فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت . . »

فقال : « أسكت ! وكيف تحملوننا كل هذه المشاق من أجل خرزات ؟ . . »

ولم يتمها فقد هجنا به احتجاجاً على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قرت الضجة قالت أختى : « اسمعوا . . إنى لم أعد أطيق البقاء هـــذا النهار فى البيت فلنذهب الى أى مكان آخر ولنتغد هناك . . »

وكان هذا اقتراحاً حسناً ، فان بقاءنا فى البيت كان خليقا بأن يغرينا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقى على غير جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضى النهار فى مكان آخر ثم نعود . . ومن يدرى فقد نجد العقد تحت عيوننا حين نعود كما يحدث كثيرا . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث عن قلمى وكانت أختى معى ، فلما تعبنا جلسنا على الكراسى وهممت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعى ... ومن الغريب أن أختى لم تره فى يدى كما لم أره . . . وقد ذكرت أختى بهذه الحكاية أو الحادثة وفى مرجوى أن أبعث فى نفسها الأمل فلا تقضى النهار يائسة مكتئبة فى سرها وإن كانت تتشجع وتتجلد ولا تبدى جزعا

وقمت الى حمامى على حين راح غيرى يلبس الثياب استعدادا للخروج . وكان طبيعيا أن يفرغوا من شأنهم قبلى ، وأن يستبطئونى فانى فى حركة دائمة فى الحمام وهم لا يصنعون شيئا بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب القلق من الانتظار . فأقبلوا على باب الحمام يدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعوننى أن أسرع ،

وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طبلة

وأخيراً خرجت فما يمكن أن تكون لستحم راحة أو لذة وعلى بابه من يصيحون به ويسمعونه ما يكره ، فلحقوا بى فى غرفتى ، ولكنى أخرجتهم منها بجهد ، فانى مستعد أن أحتمل كل شىء إلا أن يحيط بى هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس ؛ على أنى أسرعت وعجلت لأتقى شر هجومهم على كرة أخرى ، وكانت ساق لا تزال أحسها ثقيلة مما أصابها فى السويس وهاضها وإن كانت لاتؤلمنى ، فلما صرت اليهم فى الردهة وقفت هنيهة أدعكها لأليفها فسألتنى أختى : « ألا تزال تؤلمك ؟ »

فقلت : « كلا ، لا ألم ولكنى أحسها ثقيلة »

فقال ابن عمى : « كلك ثقيل يا أخى .. تعال »

فقلت : « ولكنى حقيقة أشعر أنها أثقل مما كانت أمس »

فقالت أختى : « طبيعى هذا من الجهد الذى تكلفته اليوم فى البحث »

فاقتنعت ونزلنا الى الباب ، وكان ابن عمى قد جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست أختى ومعها حسن على المقعد الخلفى ، واتخذ أحمد مكان القيادة ، وقلت له وأنا أفتح الباب الآخر لأجلس الى جانبه : « لعل درس الأمس نفعك ، فلا تكرر أخطاءك المعتادة »

فزام أولا ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون أن أشرفكم بتولى القيادة العامة ، أفلا يحسن أن أعرف الى أين يراد منى أن أحملكم ؟ »

فقالت أختى : « أوه ... الى أى مكان .. الى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو الى حديقة الأورمان ... أو ... أى مكان تحب »

قال حسن : « الى القناطر إذن ... اركب ياهذا أم تريد أن أنزل وأحملك ؟ »

وكان الركوب يحوجنى أن أحمل ساقى بيدى لأن ثنيها كان يؤلمنى فى موضع الركبة ، فجلست على المقعد ووجهى الى الباب وملت على ساقى وهى ممدودة لأحملها وأدور بها وأدخلها فى السيارة ثم ارتددت ضاحكا ، فسألتنى أختى عن الخبر فقال لها زوجها : « دعيه .. إنه يحلم .. لا يزال نائما .. لاشك أن الحلم لذيذ ... ألا ترين ... أعنى ألا تسمعين ... »

فمسحت أولا الدموع التى ترقرقت فى عينى من فرط الضحك ، ثم مسحت بطنى التى صارت توجعنى ... ثم تنهدت وقلت : « آح ... مسألة ظريفة جدا ... »

فقالت أختى : « ولكن ما هى الحكاية ... أتظن أنى من اللائق أن نقف ساعة أمام الباب ؟ »

قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نعود الى البيت دقائق قبل أن نخرج الى رحلتنا .. »

فنهضت أختى عن مقعدها قليلاً وزحفت الى الأمام مقدار شبر ، ووضعت كفها البضة على كتفى وقالت : « لا تعذبنى ... انطق »

قلت : « لا حاجة بى الى الكلام ... خذى »

وانحنيت فأخرجت العقد المفقود من طية البنطلون عند حرفه ورفعته الى عينها وقلت :

« لقد كنت أظن أن ساق اليوم أسوأ مما كانت أمس لأنى أحسها أثقل ... فالآن عرفت السبب ولكنى لا أعرف كيف سقط العقد فى طية البنطلون .. »

ولا أزال الى الآن أجهل كيف أمكن أن يحدث هذا ، وإنما الذى أعرفه أن أختى فرحت وأن ابن عمى حاول أن يركبنى بعبثه المألوف ، فوضعت كفها على فمه فقبل أصابعها ثم عضها فصرخت فقال : « هذا جزاء من يدافع عن السراق واللصوص والخونة »

ابراهيم عبد القادر المازنى